دراسات تاريخية المجلد العاشر العدد الثاني السنة1444هـ/2022م ص ص168-181

مجلة دراسات تاريخية

ISSN: 9741-2352 EISSN :6723-2600

الأبعاد الفلسفية لأبي بكر الرازي في روحانية الطب

The philosophical dimensions of Abu Bakr Al-Razi in the spirituality of medicine

إبراهيم الهلالي

elhelali Ibrahim

المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الانسان والتاريخ_ تلمسان_ (الجزائر)

brahimhelali83@gmail.com

الارسال: 03-06-2021 القبول : 08-08-2022 النشر:2022/10/03 المرسل: إبراهيم الهلالي

الملخص:

لقد أسس الرازي لطبه النفسي الأخلاقي، المعتمد على ضرورة استعمال العقل الذي فضَّل الله به الإنسان على سائر المخلوقات، وبه توصَّل الإنسان إلى العلوم والصناعات ويعد الرازي من الرواد الأوائل للطب ليس بين العلماء المسلمين فحسب وإنما في التراث العالمي والإنساني بصفة عامة، ومن أبرز جوانب ريادة الرازي وأستاذيته وتفرده في الكثير من الجوانب، دفاعه عن سيرته الشخصية وعن أسلوب حياة الفيلسوف، ورسم أسلوباً لحياة الإنسان على أساس أن له بعد الموت حياةً فيها سعادة أو شقاء، إذ تناول هذه المشكلة من عدة أوجه أبرزها البعد الفلسفي في روحانية الطب.

الكلمات الدالة : فلسفة، رازي، ابعاد، طب، تراث.

Abstract

Al-Razi founded his moral psychiatry, which is based on the necessity of using the mind by which God favored man over all creatures and through him human access to science and industries. Al-Razi is considered one of the first pioneers of medicine, not only among Muslim scholars, but in the universal and human heritage in general. Among the most prominent aspects of al-Razi's leadership, professorship, and uniqueness in many fields; the defense of his personal biography and the lifestyle of the philosopher. So, he drew a style for human life on the basis that after death he has a life of happiness or misery, as he addresses this problem in several ways, most notably the philosophical dimension in the spirituality of medicine.

Keywords. Philosophy,Razi- dimensions, medicine-, heritage.

مقدمة:

لقد عرف التراث العربي الإسلامي العلوم والفنون بكل أشكالها وأنواعها وكان الطب أحد المنجزات العلمية العظيمة التي تحققت على أيدي العلماء العرب والمسلمين، إذ أضاءوا الطريق أمام الشعوب الأخرى التي عاشت أسيرة الأوهام والشعوذة والسيطرة الكهنوتية.

اذ كان الطب الإسلامي شعلة أنارت الحضارة العربية الإسلامية، ابتداء من أطبائنا المسلمين في عهد الرسول محمد صل الله عليه وسلم ومروراً بأطباء العهد الاموي والعباسي.

وفي زمن الخلافة العباسية شهدت خلالها العلوم والمعارف، تطورات متعددة، حيث أولى الخلفاء العباسيون الاهتمام بالجانب العلمي وخاصة العلوم الطبية والاطباء، مع زيادة نشاط الحركة العلمية التي دفعت إلى ترجمة الكتب والمخطوطات الهندية، والفارسية، واليونانية.

يأتي الطب في مقدمة العلوم الإنسانية التي برع فيها العرب منذ أقدم العصور وكانت إسهامات العرب من خلال اطلاعهم على التراث الفكري والعالمي، إذ انصهر هذا التراث مع معارفهم وإبداعاتهم لدعم الحضارة العربية الاسلامية الراقية في شتى ميادينها، وقد استعان علماء المسلمين بما تجمع لدى الأمم المتحضرة حولهم من علوم فنهلوا الكثير من علماء اليونان والرومان والهنود والفرس، بعد ان ادخلوا التعديلات والزيادات على ما أخذوه ولهذا لم يكن العرب والمسلمين ناقلين العلوم الطبية عن هؤلاء، بل كانت لهم اللمسات الخاصة والإضافات العلمية الدقيقة، وكان للاتصال أثره المهم في توسيع مدارك الأطباء العرب والمسلمين في مجال المعرفة والعلوم الطبية، فأخذ العرب خلال عصر قبل الاسلام عن الأقوام المجاورة، لا سيما الفرس والروم ، وتمكنوا من إتقان بعض العلاجات في مجال العيون، والأسنان والعظام، وأمراض المعدة[1].

لقد حرص الأطباء العرب على تقديم النصح والإرشاد حول العادات الصحية وتأكيد الممارسات المتوازنة، ونتيجة لأهمية الطب وقيمته عند العرب، قد نال المشتغلون فيه مكانة بارزة وأهمية اجتماعية ملؤها الاحترام والتقدير، وقد برزت أسماء نالت شهرة في الطب منهم الحارث بن كلدة الثقفي[2].

تبين ان العرب قد أضافوا إلى العلوم اليونانية إضافات كثيرة وزينوها بنظريات رائعة مبتكرة ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالدين الإسلامي الذي دفعهم الى الإيمان والعلم والتحلي بالأخلاق الفاضلة، التي يجب أن يكون عليها كل انسان قبل أن يكون عالماً أو طبيباً[3].

في الواقع أن العلوم الطبيعية والرياضية وثيقة الصلة بالدراسات الفلسفية في الإسلام، ولا يمكن أن يفهم أحدهما بدون الآخر، ويوم أن ضعف البحث الفلسفي ضعفت معه الدراسات العلمية، وإذا كنا قد أشرنا إلى الفلاسفة العلماء، فإنا نستطيع أن نضيف إليهم العلماء الفلاسفة، ويمكن أن نذكر أن من بينهم محمد بن زكريا الرازي (320-932)، وهو دون نزاع أكبر طبيب في الإسلام، بل في القرون الوسطى على الإطلاق، ويمتاز بالأصالة ودقة الملاحظة، واستطاع أن يكشف عن أمراض لم تكن معروفة من قبل،

وكتابه الحاوي في مقدمة كتب الطب العربية، التي عول عليها اللاتين، وقد منح الكيمياء قسطاً كبيراً من عنايته، وهو في طبه وفلسفته واثق من نفسه كل الثقة.

من هنا تأتي الأهمية العلمية لموضوع دراستنا حول الجانب الفلسفي الطبي عند الرازي وأهم إنجازاته الطبية وتأثيرها على التطور الحضاري لأروبا في القرون الوسطى، وذلك وفق الاشكالية التالية: كيف استطاع علم الطب عند الرازي أن يتدرج من مرحلة النشوء إلى أن اجتاح صدى طبه الآفاق والمسافات وصولا إلى مختلف الأصقاع في العصر الوسيط.

تتفرع من هذه الاشكالية جملة من التساؤلات منها:

ماهي الظروف التي تبلور فيها الطب عند الرازي؟

وماهي العوامل التي ساعدت على تطوره وانتشاره؟

وفيما تتمثل مساهمة فلسفته من أجل تطوير الطب؟

1. أبو بكر محمد ابن زكريا الرازي حياته ومؤلفاته:

1.1 أبو بكر محمد ابن زكريا الرازي:

هو أبو بكر محمد بن يحيى بن زكريا الرازي، من علماء القرن الثالث الهجري، ومع نهاية القرن التاسع الميلادي أصبح كل الأطباء المشهورين من أصول غير عربية؛ مثل الرازي والمولود بمدينة الري جنوبي طهران بفارس في سنة 825م وتوفي سنة 926 (على غير اتفاق بين المؤرخين) وسمي بالرازي نسبة إلى هذه المدينة.

تعلم طب "علي بن طبري" في سن متأخرة، ثم استدعي إلى بغداد لإقامة مستشفى بها وتولى رئاسة بيمارستان الذي أسس في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله جعفر بن المعتضد عضد الدولة في بداية القرن العاشر الميلادي[4].

البيمارستان: بفتح الراء والسين كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بيمار) بمعنى مريض أو عليل، و(ستان) بمعنى دار إذن الكلمة تعني دار المرضى[5].

تطورت المستشفيات وكثرت أنواعها وبرزت سماتها التي تمثلت بالموقع الجيد و المناسب الذي يتوافق وحالة المرضى.

وظهرت مستشفيات خاصة بعلاج أمراض خاصة، وضمت الكثير من الأطباء والأخصائيين في مختلف الأمراض لمعاينة المرضى وعلاجهم، وارتقت هذه المستشفيات إلى أن أصبحت مؤسسة مختصة بالتدريس، وتعليم صناعة الطب وتخريج الأطباء، وكان لهذه المستشفيات أساليبها في التقنية والعلاج والتدريس، وكذلك الصيدلة، ونظام المكتبات الملحقة بالبيمارستان، وهي بمثابة مراجع علمية للأستاذ والطالب على حد سواء[6].

وكانت تختار مواقع البيمارستان بدقة بعد دراسة شاملة وعلى أسس علمية مدروسة من ناحية المكان، والبيئة المحيطة بها، وأوضح مثال لذلك المستشفى التي بناها عضد الدولة، وقبل أن يباشر ببنائها

أرسل في طلب الطبيب الرازي لاختيار المكان المناسب، وفعلاً قام الرازي بوضع ثلاث قطع من اللحم (وقيل خمس) من كل ناحية من نواحي بغداد، ليعرف أي القطع الثلاث كانت أكثر تعرضاً للتلف، وأخيراً تم اختيار مكان المستشفى على أثر قطعة اللحم التي بقيت أطول مدة ممكنة دون أن تفسد[7].

وقد وصف الرازي بأنه كان ذكيا فطنا مجتهدا رزينا، يحب الرحمة والعدل والنصح والعفة، والاقلال من مما حكة الناس ومجذبتهم، وكذلك كان بارا حنونا يعطف على الطلاب والمرضى والفقراء.

كان كثير الاطلاع على معارف السابقين كل من: العرب واليونان والهند وغيرهم، ولم يشاهده معارفه إلا ناسخا للكتب، مع أنه عاش حياته زاهدا في المال ومظاهر الحياة، بالإضافة إلى أنه كان يجالس الأمراء ويعالجهم.[8]

2.1 مؤلفات الرازي في أوروبا

إن قيمة العلماء السابقين لا تقاس بما بقي من نظرياتهم في العلم الحديث، بل تقاس بنسبتهم إلى زمانهم لمعرفة الدور الذي لعبوه في تاريخ الفكر البشري، فالموازنة الصحيحة بين العلماء تحتاج إذن إلى أن ينسب كل منهم إلى زمانه، و متى أدخلت عامل الزمان في الموازنة أدركت أن لكل كشف علمي شروطا متفقة مع درجة تقدم العلم في زمان ذلك الكشف، إن قيمة العلماء السابقين لا تقاس بما بقي من نظرياتهم في العلم الحديث، بل تقاس بنسبتهم إلى زمانهم لمعرفة الدور الذي لعبوه في تاريخ الفكر البشري ....فالموازنة الصحيحة بين العلماء تحتاج إذن إلى أن ينسب كل منهم إلى زمانه، ومتى أدخلت عامل الزمان في الموازنة أدركت أن لكل كشف علمي شروطا متفقة مع درجة تقدم العلم في زمان ذلك الكشف[9].

اعترف العديد من المؤرخين والباحثين بفضل العرب على أوربا، وأكدوا أن أوربا تدين للعرب بحضارتها؛ وربما كان أول باحث أوربي أشاد باثر العرب في الحضارة الأوربية ونوّه بفضلهم على ثقافة عصر النهضة هو الأب اليسوعي الإسباني جوان اندريس، وكان من اليسوعيين الذين طردوا من اسبانيا سنة 1181هـ / 1767م، فقد نشر كتابا باللغة الايطالية في سبع مجلدات بعنوان: "أصول كل الآداب وتطورها وأحوالها الراهنة"، ثم أعاد نشره في روما، وفيه أكّد ان النهضة التي قامت في أوربا في كل ميادين العلوم والفنون والآداب والصناعات إنما كانت بفضل ما ورثته عن حضارة العرب[10].

كتبت الباحثة الالمانية زيغريد هونكه في كتابها: "شمس العرب تسطع على الغرب"، تقول: "في مراكز العلم الأوربية لم يكن هناك عالم واحد من بين العلماء، إلا ومدَّ يده الى الكنوز العربية هذه يغرف منها ما شاء الله ان يغرف ولم يكن هناك كتاب واحد من بين الكتب التي صدرت في أوربا آنذاك، إلا وقد ارتوت صفحاته بالري العميم من الينابيع العربية، واخذ عنها إيحاءاته وظهر فيه تأثيرها واضحا كل الوضوح، ليس فقط في كلماته العربية المترجمة بل في محتواه وأفكاره، فالكتب التي درسها الدارسون، واستند إليها الباحثون كانت كتب ابن سينا وابي القاسم الزهراوي والرازي"[11].

الرازي لقد ذاعت شهرته في عصره حتى وصف بأنه جالينوس العرب، وقيل عنه: كان الطب متفرقا فجمعه الرازي ولقيت بعض كتبه الطبية رواجا كبيرا وشهرة عظيمة، وانتقلت نظرياته العلمية إلى أوروبا،

وقد ترجم العديد من كتبه إلى اللغات الأوروبية، واعتمدت عليها جامعات أوروبا وظلت مرجعها الأول في الطب، حتى القرن السابع عشر وهو أكبر أطباء العصور الوسطى وامام الطب العربي غير منازع، لقب "جالينوس العرب" وظل في أوروبا حجة في الطب حتى القرن السابع عشر، وقد ترجمت أعماله إلى اللاتينية والألمانية والفرنسية والإنجليزية مرات عديدة، ويقال أن رسالته في الجذري والحصبة طبعت بالإنجليزية وحدها أربعين مرة بين أعوام: 1498-1866م[12].

ومن أعظم و أشهر كتبه الطبية:

1.الحاوي Al- Hawi:

من الكتابات الهامة في مجال الطب، التي أثرت تأثيراً بالغاُ على الفكر العلمي في أوربا كتاب الرازي المسمى "الحاوي"، الذي ينظر إليه عادة على أنه أعظم كتب الطب قاطبة حتى نهاية العصور الحديثة[13].

ويذكر ماكس مايرهوف أن أول من قام بترجمة هذا الكتاب من العربية إلى اللاتينية هو طبيب يهودي من صقلية اسمه (فرج بن سالم) ويُعرف في العالم الغربي باسم فراجوت (Feragius) بأمر من شارل الأول (ملك نابولي وصقلية)، حيث فرغ من ترجمته عام 1279م[14] نشرت هذه الترجمة باسم (Liber Elhawi) في برشيا Brescia سنة 1486م ونشرت له ترجمة لاتينية أخرى باسم (Continens Rasis) في البندقية سنة 1542م[15].

طبع في البندقية طبعات أخرى في سنوات (1500، 1506، 1509)، وهذا يعني أنه طبع حتى سنة 1542 خمس طبعات، إضافة لطبع أجزاء منه كثيرة منفصلة.

إن هذا الكتاب كان من الكتابات الهامة في مجال الطب أثرت تأثيراً بالغاً على الفكر العلمي في أوربا، فقد كانت ترجمة فرج لهذا الكتاب إحدى تسعة كتب لتدريس الطب في جامعة باريس حتى سنة 1395م.

وقصة لويس الحادي عشر مع كتاب الحاوي، والتي سبق ذكرها تشير إلى قيمة هذا الكتاب في ذلك العصر والجدير بالذكر أن كتاب الحاوي هذا، هو الذي جعل المشتغلين بالطب في أوربا يعتبرون الرازي أعظم أطباء الطب السريري (الكلينيكي) في العصور الوسطى.

مازال الغربيون يعترفون بفضل الرازي ويقدرون أثره، حتى أن جامعة باريس تحتفظ حتى اليوم بصورتين كبيرتين في قاعاتها الكبرى إحداها للرازي والأخرى لابن سينا، وإن جامعة برستون الأمريكية أطلقت اسمه على أفخم أجنحتها تقديراً لفضله "[16].

2. المنصوري:

من أهم الكتب الطبية التي دونها الرازي وانتقلت إلى أوربا أيضا، كتاب الطب المنصوري وهو كتاب أصغر من الحاوي، ولكن قيمته عظيمة وكان أشهر من الحاوي، رغم اشتماله على عشرة كتب، ويذكر الدوميلي أن هذا الكتاب ترجم في العصور الوسطى إلى ترجمات لاتينية كثيرة، وجاءت أول طبعة في عام 1481م[17].

ترجم إلى اللاتينية بقلم جيرارد الكريموني بعنوان: (ber ad Almansorem) وطبعت هذه الترجمة في ميلانو سنة 1481 م، والبندقية سنة 1497م، وليون 1520م، وبازل 1544م[18] وأصبح أحد كتب التدريس في كليات الطب في أوربا.

كذلك قام بترجمته شمطوب بن اسحق سنة 1246 إلى العبرية في مرسيليا وكان ذلك حافزا قوياً إلى النهضة الطبية عند العبرانيين[19].

أما الجزء التاسع المعنون:

(NonusAlmansuris) فقد طبع منفرداً مع تعليقات وهوامش في البندقية سنة 1483م، 1490م، 1493م، 1497م، وفي ليون سنة 1510م، وفي بال سنة 1544م، وفي بادوا سنة 1480م. وشرحه أندريا فيزال يوس[20] ونشره عام 1537م.

وتجدر الإشارة هنا إلى رسالة وجهها فيزال يوس إلى طبيب الإمبراطور كارلوس، جاء فيها " إنه ابتدأ بإعادة النظر في ترجمة مؤلفات الرازي والقصد في ذلك، إنقاذ أولئك الذين يترشحون مثلي لنيل شهادة الطب وهو عمل جبار. وفي الوقت ذاته لكي أتيح الفرصة للأطباء الذين يبحثون عن الدواء الناجح لكي يجدوه خالياً من الأخطاء الفاضحة التي ارتكبها بحقه الناقلين اللاتينيين "[21].

إن هذا الكلام إن دل على شيء فإنما يدل على الحجم الكبير الذي كانت تشغله مؤلفات الرازي لعلم الطب بأروبا في ذلك الوقت .

3. كتاب الجدري والحصبة: ترجم هذا الكتاب في عصر النهضة إلى لغات كثيرة هي[22]:

أ- ترجمة إغريقية (يونانية) عملها جاك كوبيل نشرت في باريس سنة 1548م.

ب-ترجمة للاتينية بواسطة فالا (Valla) نشرت في البندقية سنة 1489م، تحت عنوان:

De varioiset et Morribillis Ou de Peste، وكذلك ترجمات لاتينية تحت عنوان:

Liber de Pesti Lentia، وقد طبعت الترجمة اللاتينية التي كتبها فالا نحو أربعين مرة بين سنتي 1498 و1866، على سبيل المثال البندقية 1498، بازل 1529 1544، وسترا سبوك 1549، ولندن 1747 وجوتكن 1781.

ج- ترجمة فرنسية من عمل جاك روليه طبعت سنة 1763 في باريس. ترجمة فرنسية أخرى من عمل لوكلريك وليفوير طبعت في باريس سنة 1866 .

هـ– ترجمة ألمانية من عمل كارل اوبيتس نشرت في لايزبرك سنة 1911، تحت عنوان: Uber Die Poken Und Die Masern، لقد نال هذا الكتاب شهرة عظيمة في أوربا لأهميته العلمية، حيث أن الرازي في هذا الكتاب ولأول مرة في تاريخ الطب فرّق بين مرضي الجدري والحصبة ووصف كلاً منهما على حدة بصورة تفصيلية، خلافاً لمن سبقه من الأطباء اليونان والعرب إذ أنهم كانوا يعتبرون المرضين واحداً [23].

4. كتاب الفصول في الطب أو المرشد:

ترجمه إلى اللاتينية موسيس بوتون تحت عنوان:Aphorismi Rasis طبع في ليدن1489[24]، وترجم إلى العبرية كذلك .

5. رسالة تدبير الصبيان[25]

تُرجمت للاتينية في مدرسة جيرارد كريمونا من قبل سومون وطبعت باللاتينية لأول مرة سنة 1481. بعد ذلك طبعت مرات عديدة وعلى الأغلب كانت تُلحق بكتاب المنصوري للرازي أو فصول الطب لابن الهيثم.

2. فلسفته

1.2 فلسفته:

قرر الرازي أن الفلسفة هي التشبه بالله عز وجل بقدر طاقة الانسان، وهي طريق موصل للحق وهي السبيل الأمثل لإصلاح الفرد والمجتمع، فكان عليها أن تنزل إلى الواقع لإثرائه، وتحتاج الفلسفة إلى العقل والفطنة والسلوك الأفضل والخلق القويم[26].

وإن الفيلسوف الحق هو من عرف شروط البرهان، وقوانينه، واستدرك وبلغ من العلم الإلهي والرياضي والطبيعي أقصى ما في وسعه، والفلسفة كذلك طريق الخلاص من عالم الكون والفساد، إلى عالم الراحة والنعيم، وقد هلك العوام لعدم إدراكهم هذا العلاج، غير أن الفلسفة ليست وقفا على الفلاسفة، بل هي نظر واجتهاد، وإن قوة الإرادة ضد الهوى، فضيلة يشرف بها الإنسان ولن يبلغ أقصاها إلا الفيلسوف الفاضل الحق[27].

كان الرازي يزرع في نفوس تلاميذه بذور الفضيلة وحسن الأخلاق، كما أنه أعطى للمنطق دوراً بارزاً، ومن الأمثلة على فلسفته ونقده يقول: " صناعة الطب كالفلسفة لا تحتمل التسليم للرؤساء والقبول منهم، ولا مساهمتهم وترك الاستقصاء عليهم، ولا الفيلسوف يحب ذلك من تلاميذه والمتعلمين منه، وأما من لامني وجهلني في استخراج هذه الشكوك والكلام فيها، فإني لا أرتفع به، ولا أعده فيلسوفا، إذ كان قد نبذ سنة الفلاسفة وراء ظهره وتمسك بسنة الرعاع من تقليد الرؤساء وترك الاعتراض عليهم".

رد في كتاباته على بعض متكلمي المعتزلة مثل "الجاحظ" و"أبي قاسم البلخي"، وكثير ممن حاولوا إدخال البراهين العلمية في الدين.

وكان الرازي مؤمنا بفلسفة سقراط الحكيم (469 ق. م- 399 ق. م)، فيقول" إن الفارق بينهما في الكم وليس في الكيف، ويدافع عن سيرة سقراط الفلسفية، فيقول: "إن العلماء إنما يذكرون الفترة الأولى من حياة سقراط"[28].

أثر الحكمة على التجارب الفردية، وآثر هذه التجارب على الاستدلالات المنطقية التي لا تقوم على التجربة. وعنده أن الله، والنفس الكلية والهيولي الأولى والمكان والزمان هي المبادئ القديمة الخمسة التي لابد منها لوجود العالم، وقال أن غاية السيرة الفلسفية هي أن يتشبه صاحبها بالخالق، أنكر الإسراف في الزهد، ولم يذم الانفعالات الإنسانية، وإنما ذم الاستسلام لها، أنكر على المعتزلة إدخال البراهين العقلية في العقائد كما نقد الأديان وأنكر إمكان التوفيق بين الفلسفة والدين.

لقد مجد العقل و مدحه، وتحدث عن ذلك طويلا في كتابه: " الطب الروحاني" حيث اعتبر العقل أعظم نعم الله، وارفعها قدرا، إذ به يدرك الإنسان ما حوله، وبالعقل استطاع الإنسان أن يسخر الطبيعة لمنفعته. وبه يتميز الإنسان على سائر الحيوانات.... ومن أقوال الرازي عن العقل: "أن لا نجعله وهو الحاكم محكوماً عليه، ولا هو الزمان مزموماً، ولا هو المتبوع تابعاً، بل نرجع في الأمور إليه، و نعتبرها به، و نعتمد فيها عليه، ولا نسلط عليه الهوى الذي هو أفته و مكدرة، و الحائد به عن سننه و حجته، و قصده و استقامته، بل نروضه ونذلله ونحوله ونجبره عن الوقوف عند أمره ونهيه"، ثم يضيف أنه كان قد وهب نفسه للعلم في بدء حياته لأنه أحب الفلسفة حبا صادقا، ولكنه عاش بعد ذلك معيشة طبيعية[29].

ومن أقواله: "الحقيقة في الطب غاية لا تدرك، والعلاج بما تنصّه الكتب دون المهارة والحكمة خطر، ويقول: "من تطبب عند كثير من الأطباء، يوشك أن يقع في خطأ كل واحد منهم".

رسائل الرازي الفلسفية ضمنها كتاب "الطب الروحاني"، وكتاب " السيرة الفلسفية" ومقالة في "ما بعد الطبيعة"، ومقالة في "إمارات الإقبال والدولة " ومقالات أخرى في "اللذة والعلم الإلهي والقدماء الخمسة"[30].

ومن أبرز مؤلفاته في مجال الفلسفة أن له رسالتان: أحدهما في الأديان، والأخرى في مخاريق الأنبياء وكذلك ما يلي:

-المدخل إلى المنطق

- المدخل التعليمي

- المدخل البرهاني

- الانتقام والتحرير على المعتزلة

2.2 روحانية الطب عند أبي بكر الرازي:

لقد وردت تعريفات عديدة في الطب، سواء في أقوال الرسول (صل الله عليه وسلم) وحتى اقوال أطباء اليونان وكذلك اقوال أطبائنا العرب، أن هذه التعاريف التي قيلت في معنى الطب اجمع فيها الاطباء، وان اختلف الزمان والمكان اللذان قيلت فيه على ان الطب غاية واحدة، الا وهي برء المرض وحفظ صحة الإنسان سواء بالغذاء أو الدواء أو سواهما.

ومن كلام ابي بكر محمد بن زكريا الرازي في الطب قوله:(الحقيقة في الطب غاية لا تدرك والعلاج بما تنصه الكتب دون إكمال الماهر الحكيم برأيه خطر)[31].

الطب الروحاني عبارة عن اتجاه طبي شمولي تكميلي Complementary يبحث في أسباب الصحة أكثر من بحثه في أسباب المرض، إذ يؤمن أصحاب هذا الاتجاه بأن عوامل الصحة كامنة في الإنسان المريض ذاته وفي محيطه البيئي، وبأن مواجهة المرض ومحاصرته ماديا لا تكفي للتخلص من المرض وتحقيق الشفاء والصحة.

الطب الروحاني متأصل وموجود هنا وهناك في مدن وحواضر العالم المتقدم، وكأننا لا نعلم ولا نسمع ولا نرى، بل وكأن أسلافنا أمثال ابن سينا والفارابي والرازي والزهاوي والزهراوي وابن حيان وابن رشد وغيرهم، لم يكونوا روادا وأصحاب باع طويل في مثل هذا النوع من الطب العريق الذي يليق بإنسانية الإنسان وكرامته كمخلوق يدخل في تركيبته ما يدخل من عناصر المادة والروح[32].

ألف الرازي كتاب "الطب الروحاني" قاصداً به إصلاح الأخلاق، ولم يكن يعلم أن كتابه هذا سيثير بعض المتعصبين من أمثال الكرماني، الذي ألف "الأقوال الذهبية" خاصة للرد على الطب الروحاني ومحاولة نقضه[33].

أما القيم الأخلاقية في الطب، لقد قام ينصح الرازي كل مريض بأن يكون عطيفا للطبيب، ومحترما له وأن يرفعه فوق خاصته، وألا يجعل بينه وبين طبيبه واسطة، وأن لا يكتم عنه سرا يتعلق بالمرض، والأفضل أن يصانع الطبيب قبل أن يحتاج إليه، وقدم الرازي جملة نصائح أخلاقية منها: أن يكون الطبيب مثقفا، حافظا سر مريضه وغيبته مجتهدا، لأن ما ورد في الكتب وحده لا يكفي.

وألا يكون متكبرا على المرضى: فقراء أو أغنياء، وأن يصون نفسه عن اللهو والطرب والشهوات، وأن يغض بصره وأن يطيل ملاقاة المريض، مع الإقلال من الكلام في مجلسه وألا يذكر شيئا من السموم على مائدته، وألا ينسى التوكل على الله تعالى في العلاج مع الأخذ بالأسباب[34].

تقول المستشرقة الفرنسية زيغرد هونكة: الرازي هو أحد أعظم أطباء الإنسانية أطلاقا.. وقبل ستمائة عام، كان لكلية الطب بباريس أصغر مكتبة في العالم، لا تحتوي إلا على مؤلّفٍ واحد هو كتاب "الحاوي" في الطب للرزي.

وكان الأثر العظيم ذا قيمة كبيرة، بدليل أن ملك المسيحية الشهير لويس الحادي عشر اضطر إلى دفع اثنى عشر ماركا من الفضة ومئة تالر من الذهب الخالص لقاء استعارته هذا الكنز الغالي، رغبة منه في أن ينسخ له أطباؤه نسخة، يرجعون إليها إذا ما هدد مرض أو داء صحته وصحة عائلته[35].

وكان هذا الأثر العلمي الضخم يضم كل المعارف الطبية منذ أيام الإغريق حتى عام 925 بعد الميلاد، وظل المرجع الأساسي في أوربا لمدة تزيد على الأربعمائة عام بعد ذلك التاريخ دون أن يزاحمه مزاحم، أو تؤثر فيه أو في مكانته مخطوطة من المخطوطات الهزيلة، التي دأب على صياغتها كهنة الأديرة قاطبة، وهو العمل الجبار الذي خطته يد عربي قدير[36].

استخلص تلاميذه من تعاليمه دروسا إكلينيكية جمعت بعد موته في كتاب عرف ب"الحاوي" هو موسوعة طبية يظهر فيها الرازي كطبيب ماهر، مدقق، يفحص مريضه بعناية قبل أن يصف له العلاج الناجع، مؤكدا ضرورة الثقافة الطبية الواسعة وأولوية الخبرة العملية؛ لم تربك الاعتبارات الفلسفية أو التنجيم وصفاته الدوائية، لكنه أوصى فقط بالأدوية التي تأكد من فاعليتها، بالإضافة إلى ذلك، أكد رجاحة عقله في أحاديثه، مثل: "الطب ليس سهلا إلا على الأحمق، فالأطباء الجيدون يواجهون كل يوم صعباً"، أما شروحه الإكلينيكية فتظهر موهبة واضحة فيما يتعلق بالربو الشعبي أو حصوات المرارة[37].

لقد امتاز الرازي بمعارف طبية واسعة شاملة، لم يعرفها أحد قط منذ أيام جالينوس، وكان في سعي دائم وراء المعرفة، وإلى جانب حبه الشديد للطب فقد كان محبا للحكمة والفلسفة، ويدافع عن أحقيته في اطلاق اسم الحكيم أو الفيلسوف يقول في كتاب السيرة الفلسفية.

أما في باب العلم فلو قيل أنه لو لم تكن عندنا منه إلا القوة على تأليف مثل هذا الكتاب لكان ذلك مانعا عن أن يمحى عنا اسم الفلسفة، فضلا عن مثل كتابنا: في البرهان، في العلم الإلهي وفي الطب الروحي.[38]

في كتاب الطب الروحاني للرازي قدم من خلاله محاولة لإصلاح الأخلاق على أسس تربوية ونفسية وبعض أفكاره الفلسفية، وقد هوجم الرازي هجوما عنيفا من بعض الإسماعيلية المتعصبين الذين اتهموه بالإلحاد وبخاصة أبي الحاتم الرازي، في كتابه أعلام النبوة وتلميذه حميد الدين الكرماني، الذي وضع كتابه الأقوال الذهبية للرد على الطب الروحاني للرازي واتهمه بإنكار النبوة[39].

لقد رفع أبو بكر الرازي من شأن العقل واعتبره من أعظم نعم الله تعالى على الإنسان فقال في كتابه الطب الروحاني: إن البارئ عز وجل إنما أعطانا العقل وحياتنا به لننال، ونبلغ به المنافع العاجلة والآجلة غاية ما في جوهر مثلنا، أن يناله ويبلغه[40].

ذكر الرازي ما يجب على متعلم هذه الصنعة قال: "يحتاج الطبيب إلى تعلم طويل، وطلب حثيث حتى لا يكون خطؤه إلا يسراً وانا لنمدح الطبيب قليل الخطأ، لأن الصواب في العلم عسر أصابته"[41].

أن تكون رغبته في صلاح الأمراض اكثر من رغبته في الحصول على الاموال، وإذا كان ميسور الحال فليكرم معالجة الفقراء من دون أخذ المال منهم، وأن تكون رغبته في علاجهم أكثر من رغبته في علاج الاغنياء الذين يجب أن يستعان بهم لمداواة الفقراء من المرضى[42].

كان الرازي يؤكد على أهمية الممارسة والخبرة والتجربة في علاج المرضى، والطبيب الممارس أفضل عنده ممن عرف الطب عن طريق الكتب فقط، يقول الرازي: "إن من قرأ الكتب ثم زاول المرض يستفيد من التجربة كثيرا".

ويفضل الرازي الطبيب الذي يعمل في العواصم والمدن الكبيرة الآهلة بالسكان، حيث يكثر المرض وتزداد الخبرة والتجربة عن الطبيب الذي يعمل في المناطق غير الأهلة بالسكان فيقول: "ينبغي أن ينظر هل شاهد المرضى، وهل كان ذلك منه في المواضع المشهورة بكثرة الأطباء والمرضى أم لا"[43].

وحين يتعارض النظر مع التجربة فإنه يفضل دائما اختيار الطبيب المجرب، فإن لم يتهيأ له إلا أحد الرجلين فليختر المجرب(اي الممارس)، فإنه أكثر نفعا في صناعة الطب من العري عن الخدمة والتجربة البحثة، بل إن الرازي يعتبر أن التجربة علم له أصول وقواعد، يجب على الممارس إحكام أصولها ولم تكن التجربة عنده مجرد اتفاقية، بل كانت في معظم الأحيان، تجربة لها ضوابط وتجربة موجهة[44].

3.خاتمة:

برز الطب بفروعه واختصاصاته العديدة على أيدي المبدعين من العرب والمسلمين، الذين أضافوا له الشيء الكثير فاصبح متكاملاً من حيث التشخيص والعلاج.

لقد نجح الطب العربي في احداث نقلة نوعية في تاريخ العلم، حيث احتفظ بعلوم الآخرين السابقين عليه، ثم قام بتطوير تلك العلوم الطبية خلال العصر الذهبي للحضارة العربية، وذلك باعتراف علماء الغرب أنفسهم.

ووصل الطب ذروته في الازدهار والابداع في مدينة بغداد عاصمة الدولة العربية الاسلامية في العراق، وهذا ما توصلت إليه دراستنا في هذا البحث، والتي يمكن إظهارها كما يأتي:

1/ تبين لنا بان مدينة بغداد كانت اكبر مركز طبي في العالم خلال العصور الوسطى وذلك بفضل اطبائها ومؤلفاتهم الطبية لما احتوته من نظريات وتجارب علمية دقيقة تفوقت على ما كتبه اليونان قبلهم.

2/ يمكن أن نذكر أن محمد بن زكريا الرازي، وهو دون نزاع أكبر طبيب في الإسلام، بل في القرون الوسطى على الإطلاق، ويمتاز بالأصالة ودقة الملاحظة، واستطاع أن يكشف عن أمراض لم تكن معروفة من قبل، وكتابه الحاوي في مقدمة كتب الطب العربية، التي عول عليها اللاتين، وهو في طبه وفلسفته واثق من نفسه كل الثقة.

3/ قد مجد العقل ومدحه، و تحدث عن ذلك طويلا في كتابه" الطب الروحاني" حيث اعتبر العقل أعظم نعم الله وارفعها قدرا، إذ به يدرك الإنسان ما حوله، وبالعقل استطاع الإنسان أن يسخر الطبيعة لمنفعته.

4/ كان الرازي يؤكد على أهمية الممارسة والخبرة والتجربة في علاج المرضى، والطبيب الممارس أفضل عنده ممن عرف الطب عن طريق الكتب.

أجل كان الرازي وصحبه من الأطباء العرب، المثال الحي والقدوة المثلى لأطباء الغرب فيما بعد، لدى معالجتهم مختلف الأمراض والذين لا رجاء في شفاءهم، بإنسانية رائعة ولكن من ذا الذي أعار فضلهم هذا أي اهتمام.

4.المراجع

[1] وفق الدين ابي العباس بن القاسم بن خليفة، ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء في طبقات الاطباء تحقيق: نزار رضا، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1965، ص 163 .

[2] الحارث بن كلدة الثقفي : أصله من الطائف تعلم الطب في اليمن وجند سابور وبقي حتى أيام الرسول (صل عليه وسلم)، وأيام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي (رضي الله عنهم)، وكانت له معالجات ومعرفة بما كانت العرب تقتاد وتحتاجه من المعالجة والمداواة وله كلام حسن في الطب .

ينظر: ابن سعد، محمد بن منيع، الطبقات الكبرى، بيروت: دار صادر (د. ت)، ج5، ص507؛ ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء ص 161-162-163.

[3] شوكت الشطي، مختصر في تاريخ الطب وطبقات الاطباء عند العرب، دمشق: مطبعة جامعة دمشق، 1959، ص10 – 11

[4] جان شارل سورنيا، تاريخ الطب (من فن المداواة إلى علم التشخيص)، ترجمة: إبراهيم البجلاتي، الكويت: عالم المعرفة 2002، ص 87.

[5] ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، ج6، ط1، مصر: المطبعة الميرية ببولاق، 1300هـ ص 217.

[6] زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون/ كمال دسوقي، بيروت: دار الجيل/ دار الافاق الجديدة، ط:8، 1993، ص228/227.

[7] المرجع نفسه، ص 229.

[8] عبد اللطيف العبد، الطب الروحاني لأبي بكر الرازي، مصر: مكتبة النهضة المصرية، 1987، (دط)، ص 07.

[9] محمد عبد الرحمن مرحبا، الموجز في تاريخ العلوم عند العرب، تقديم: جميل صليبا بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط: 3، 1981 ص5-6.

[10] ختام راهي مزهر، التأثير العربي الإسلامي على الغرب الأوربي الأندلس وصقلية إنموذجا، العراق: مجلة القادسية للعلوم الانسانية المجلد: 11، العدد: 4، 2008، ص 223.

[11] المرجع نفسه، ص 224.

[12] جان شارل سورنيا، المرجع السابق، ص 87.

[13] ماهر عبد القادر محمد علي، مقدمة في تاريخ الطب العربي، لبنان: دار العلوم العربية، ط: 1، 1988، ص 81/80.

[14] ماكس مايرهوف، العلوم والطب، جزء من كتاب تراث الإسلام / إشراف: ارنولد توماس، ترجمة: جرجيس فتح الله ، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط: 2، 1972، ص 465 .

[15] كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، نقله للعربية: السيد يعقوب بكر، رمضان عبد التواب، القاهرة: دار المعارف، ج4 ط: 2، 1977، ص 465

[16] سعيد عبد الفتاح عاشور، المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية، القاهرة: دار النهضة العربية، الطبعة: الأولى 1963 ص 152.

[17] ماهر عبد القادر محمد علي، المرجع السابق، 82/81.

[18] بروكلمان، ج4، المصدر السابق، ص 277 .

[19] عبد الحميد العلوجي، تاريخ الطب العراقي، بغداد: مطبعة سعد، 1967، ص 527 .

[20] أندريا فيزاليوس (1514 – 1564)، طبيب اشتهر بعلم التشريح .

[21] سيمون الحايك، جامعة حلب: مجلة تاريخ العلوم العربية، العددان: 1 / 2، مجلد: 9، 1991، ص 137 .

[22] .المصدر السابق، ص 277.

[23] محمود الحاج قاسم محمد، تاريخ طب الأطفال عند العرب، جامعة بغداد: مركز إحياء التراث العلمي العربي، ط: 3، 1989 ص 103.

[24] بروكلمان، المصدر السابق، ص 279.

[25] المرجع السابق، ص 161.

[26] عبد اللطيف العبد، المرجع السابق، ص 29.

[27] المرجع نفسه، ص 30/29.

[28] فيصل عبد اللطيف الناصر، أبو بكر محمد ابن زكريا الرازي حياته وانجازاته الطبية، البحرين: مجلة جمعية الأطباء البحرينية العلمية، أكتوبر 2010، ص 14. أنظر الموقع:

.https://www.researchgate.net/publication/235345982_Abu_Baker_Mohd_Alrazi_his_Input_and_achievements

[29] المرجع نفسه، ص 14.

[30] المرجع نفسه، ص 14.

[31] ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء، المصدر السابق، ص 419.

[32] وائل مصطفى، وقفة مع عالم الطب الروحاني في العصر الحديث، 12/10/2006

أنظر الموقع: https://www.aljaze**era**.net

[33] عبد اللطيف العبد، المرجع السابق، ص 07.

[34] المرجع نفسه، ص 25/24.

[35] عامر النجار، في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، مصر: دار المعارف، ط: 3، 1994، ص 92.

[36] المرجع نفسه، ص 92.

[37] جان شارل سورنيا، تاريخ الطب، المرجع السابق، ص 88.

[38] عامر النجار، المرجع السابق، ص 94/93.

[39] المرجع نفسه، ص 95.

[40] المرجع نفسه، ص 98.

[41] ابو بكر محمد بن زكريا، الحاوي في الطب، ج23، الهند: دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، 1955، ص 294.

[42] الرازي، الحاوي، ج23، ص 290 ؛ ربن الطبري ، فردوس الحكمة، ص 559 .

[43] عامر النجار، المرجع السابق، ص110 .

[44] عامر النجار، المرجع نفسه، ص 111.

5. قائمة المصادر والمراجع:

_ ابن منظور، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج6، ط1، مصر: المطبعة الميرية ببولاق، 1300هـ.

_ ابن ابي اصيبعة موفق الدين ابي العباس بن القاسم بن خليفة، عيون الانباء في طبقات الاطباء تحقيق: نزار رضا، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1965.

_ الشطي شوكت، مختصر في تاريخ الطب وطبقات الاطباء عند العرب، دمشق: مطبعة جامعة دمشق، 1959.

_ العلوجي عبد الحميد، تاريخ الطب العراقي، بغداد: مطبعة سعد، 1967.

_ الحايك سيمون، جامعة حلب: مجلة تاريخ العلوم العربية، العددان: 1 ، 2، مجلد: 9، 1991.

_ الحاج قاسم محمد محمود، تاريخ طب الأطفال عند العرب، جامعة بغداد: مركز إحياء التراث العلمي العربي ط: 3، 1989.

_ النجار عامر، في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، مصر: دار المعارف، ط:3، 1994.

_ العبد عبد اللطيف ، الطب الروحاني لأبي بكر الرازي، مصر: مكتبة النهضة المصرية، (دط)، 1987،

_ الناصر فيصل عبد اللطيف، أبو بكر محمد ابن زكريا الرازي حياته وانجازاته الطبية، البحرين: مجلة جمعية الأطباء البحرينية العلمية، أكتوبر 2010، ص 14.أنظر الموقع:

.https://www.researchgate.net/publication/235345982_Abu_Baker_Mohd_Alrazi_his_Input_and_achievements

_ بروكلمان كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: السيد يعقوب بكر، رمضان عبد التواب، القاهرة: دار المعارف ج: 4، ط: 2، 1977.

_ بن زكريا ابو بكر محمد، الحاوي في الطب، ج23، الهند: دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، 1955.

_ بن منيع ابن سعد محمد، الطبقات الكبرى، ج5، بيروت: دار صادر، (د. ت)، ص507.

_ سورنيا جان شارل، تاريخ الطب (من فن المداواة إلى علم التشخيص)، ترجمة: إبراهيم البجلاتي، الكويت: عالم المعرفة، 2002.

_ عاشور سعيد عبد الفتاح، المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية، القاهرة: دار النهضة العربية، الطبعة: الأولى، 1963.

_ هونكة زيغريد ، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون/ كمال دسوقي، بيروت: دار الجيل/ دار الافاق الجديدة، ط: 8، 1993.

_ مايرهوف ماكس ، العلوم والطب، جزء من كتاب تراث الإسلام / إشراف: ارنولد توماس، ترجمة: جرجيس فتح الله، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط: 2، 1972.

_ ماهر عبد القادر محمد علي، مقدمة في تاريخ الطب العربي، لبنان: دار العلوم العربية، ط: 1، 1988.

_ مرحبا محمد عبد الرحمن، الموجز في تاريخ العلوم عند العرب، تقديم: جميل صليبا، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط3، 1981.

_ مزهر ختام راهي ، التأثير العربي الإسلامي على الغرب الأوربي الأندلس وصقلية إنموذجا، العراق: مجلة القادسية للعلوم الانسانية المجلد: 11، العدد: 4، 2008.

_ مصطفى وائل ، وقفة مع عالم الطب الروحاني في العصر الحديث، 12/10/2006
أنظر الموقع: https://www.aljaze**era**.net